الحلقة السابعة عشر

(1) (علي باشا.. شمس الدنيا مريضة في فراشها)

علي باشا: أين شهربان والأولاد؟

شمس الدنيا: (باكية) سافرت الى حلب ومعها الأولاد، تريـد أن تقيم في السجن مع مراد هي وأولادها! هذا كان ردها على الـسلطان عبد العزيز حين علمت بالأمر..

علي باشا: يا لها من امرأة عنيدة! أنّى لها المال؟

شمس الدنيا: باعت مصاغها.. وذهبت الى زوجها.. لم أسـتطع ردها.. هكذا ربيتها ياعلي فانظر ما جنته يداك! لن تطول حياتي بعد غياب شهربان وأولادها عني يا علي.. حين غادرت البيت أصـابتني نوبة قلبية نجوت منها، وعادني الدكتور رأفت صديق مراد، فرجاني أن لا أنفعل.. كيف لي أن لا أنفعل يا علي وقد غادرتني ابنتي الوحيدة الى المجهول والخطر ومعها أحبائي الصغار؟

علي باشا: أسلمي أمرها لله! فلعل الخير يكمن لها في رحيلهـا الى هناك.. لقد وفقني الله وأبرمت صفقة شراء أسلحة لا يحلـم بهـا مولانا السلطان.. وسأذهب اليه على الفور وأطلب منه العفـو عـن مراد.. وسيستجيب هذه المرة لطلبي، ولن يكافئني لما أنجـزت مـن عمل، بالإساءة الى صهري وابنتي الوحيدة وأطفالها الصغار!

(2) (قصر السلطان عبد العزيز.. علي باشا يخبر الـسلطان عـن انجازات رحلته)

عبد العزيز: بارك الله فيك يا علي.. سأرفعك الى رتبة فريق، هـذه الرتبة التي لم يحظ بها أحد قبلك الاّ في مصر!

علي باشا: يكفيني يا مولانا رضاك عني.. لا أطلب شيئا لنفسي الاّ أن أخدم هذا الوطن الغالي وأحميه من أعدائه المتربصين به!

عبد العزيز: لا بد من مكافأتك.. غدا أصدر مرسوما يرفعـك الـى رتبة فريق!

علي باشا: لي رجاء عندك يكون المكافأة الكبـرى لـي.. أن تـرد الإعتبار الى صهري الأمير مراد.. لقد تأكد لك براءته من المـؤامرة على القصر التي كان متهما بها.. معاذ الله أن يتورط مراد في أمـر كهذا ويعلم الله، أنه كان الأخلص والأوفى لك من كل الحاشية التـي تحيط بك، وليس انتسابه لحركة "الحرية والإئـتلاف" بـالجرم الـذي

يؤاخذ عليه! لأن الحركة كانت موجودة منذ زمن عبد المجيد، ولم يكن يدري حينذاك بأنها ستتورط في مؤامرتها على القصر.. فما كان ركنا بارزا فيها، ولا مشاركا في اتخاذ قراراتها! لقد عدت من ألمانيا لأجد بيتي قد انهار.. ابنتي الوحيدة شهربان حملت أولادها الأربعة وأكبرهم في التاسعة وأصغرهم ابن أشهر لا يعرفه أبوه وسافرت الـى حلـب تريد أن تسجن هي وأولادها مع زوجها.. ووجـدت زوجتـي وقـد أصيبت بجلطة قلبية اثر مغادرة ابنتها الوحيدة وأولادها.. ولكـن الله أنجاها، وهي تبكي فراق ابنتها وتنفعل مما يعجل هذا الشجو والحزن في شفائها، وتجاوزها الخطر من نوبة أخرى تعجل بها..

عبد العزيز: من أجلك يا علي باشا سأعفو عن مراد على شـرط أن ينسحب من هذه الحركة التي تؤدي الى الفتن في الولايات بتحـريض من الأجانب الذين يريدون تمزيق دولتنا..

علي باشا: هذا ما أراه أنا الآخر، فأنا أومن بتجربتي الخاصـة أن مركزية الدولة العلية ضرورية، وأن مثل هذه الدعوات قد تنقلب الى تطرف قومي كالذي جرى في مصر.. (السلطان يطلب رئيس القلـم ليرسل تلغرافا الى مدير سجن حلب.. الى علي باشا)

عبد العزيز: ان فحوى التلغراف أن يفرج عن الأمير مراد، وينزلـه وأسرته في قصر الضيافة في حلب ريثما يتدبر أمر سكناه وإقامته..

(3) (شهربان تنزل من القطار الذي يصل بيروت بحلـب.. هـي وأولادها في المحطة)

شهربان: (تخاطب أولادها وهي تحمل عليا، والحقائب أمامها) انتبهوا الى ما أقوله لكم.. لن يأتي والدكم لاستقبالنا لأنني لم أخبره بمجيئنـا، بل نحن الذين سنفاجئه بقدومنا.. أريدكم أن تكونوا شجعانا يا أولادي كوالدكم وجدكم.. ان جدكم لم يحصل على كل الأوسمة والنياشين التي كنتم تلعبون بها في القصر، الاّ لأعمال باهرة قام بها .. فهي لا تمنح الاّ للصادقين المخلصين في خدمة الدولة العلية والملـة الـسمحاء.. ووالدكم لا يقل إخلاصا للعرش لأن السلطان رمز للأمة كلها ولكـل الولايات التي يحميها..

عثمان: لماذا أوقفوا أبي ونفوه الى حلب؟ انني لا أحب السكنى فـي حلب، بل أريد العيش في استنبول حيث مدرستي وأصحابي وحيـث الحصان الذي أتدرب عليه، وقصر جدي الذي أعيش فيه..

شهربان: انني أعتمد عليك في فهم ما يجري لوالـدك.. ان والـدك ينتمي الى حركة تطالب باستقلال الولايات فـي شـؤونها الداخليـة وبقاءها في حماية الدولة العلية.. وهي حركة معروفة قبـل أن يقـوم بعض المتهورين في الحركة بمحاولة انقلاب فـي القـصر.. واتهـم والدك بالمشاركة في هذه المؤامرة ولكن ظهرت براءته.. ولقد نفـي الى حلب بسبب انتمائه للحركة وليس لأنه شريك في المؤامرة.. أبعد لأن السلطان لايزال مذعورا من الحركة التي كان هدفها خلعه عـن العرش.. انه موقوف الآن حذرا من ردة فعل مضادة للقصر..

عثمان: أي أنه سجين! (الى مصطفى) ألم أقل لك أنهم يأخذون والدي الى سجن حلب؟ (سليمان يبكي)

شهربان: أنا نفسي لم أكن أعرف ذلك يا عثمان ولم أكذب عليكم، فلما عرفت بالأمر على حقيقته قررت أن نشاركه جميعنا في وحدته.. فهل كنت مخطئة؟

عثمان: لا يا أمي.. ان وجودنا معا يكفينا!

(4) (سجن حلب.. مراد في زنزانة.. يدخل حارس)

الحارس: هناك زوار لك في غرفة المدير، ولقد سـمح لـك المـدير برؤيتهم!

مراد: (لنفسه) لعلهم بعض رفـاقي فـي اسـتنبول مـن الإداريـين والعسكريين المرسلين الى حلب.. (تأخذه المفاجأة بمزيج من الـذعر والفرح حين يرى زوجته وأولاده)

مراد: ماهذه المسرحية يا شهربان؟ أتغامرين بنفسك والصغار وتأتين الى حلب؟ من أوصلك؟ من أشار...

شهربان: جئت وحدي ولم يشر علي أحد! (الـصغار يحيطـون بـه ويقبلون يديه فيقبلهم) جئنا لنؤنس وحشة سجنك!

مراد: ما هذا الكلام؟ أتحسبين السجن غرفة في قصر؟

شهربان: مهما تكن، لسنا أفضل منك..

مراد: لا حول ولا قوة الاّ بالله.. تزيدوني هما فوق همي!

شهربان: هل أنت غاضب؟

مراد: وفي أشد الغضب!

(يصل تلغراف لمدير السجن.. يرن الجرس.. يذهب الـى الجهـاز.. يقرأ الرسالة التلغرافية.. تستبشر ملامحه.. الى مراد)

"صدر أمر من مولانا بالعفو عنك، وستنقل فورا أنت وأسـرتك الـى قصر الضيافة.. فأنتم في دار الضيافة عندنا مدة شهر ريثما تـدبرون إقامتكم وسكناكم!" (فرح عام.. يحضر الحارس بذلة مراد الرسـمية التي جاء بها ليستبدل ثيابه.. شهربان تضم أولادها وتقول "أرأيتم كيف استجاب الله لصلواتكم؟" الى المدير)

شهربان: أتسمح من فضلك بإخلاء المكان لـي لأرضـع الـصغير؟ (يخرج باسما.. يدخل مراد بثيابه الرسمية.. يشاهد شهربان ترضـع عليا.. يكب على الطفل ويقبله.. شهربان تمسح علـى شـعر مـراد وتقبله)

* * *